أسلوب تنفيذ الرسوم والمنحوتات

تعتبر أعمال فنان الكهوف فغي الرســـم والنحت أولى نتاجات الانســـان الفنية. ومن الطبيعي ان تمر هذه الاعمال الفنية في أســـلوب تطورها نحو الاتقان بمراحل تطورية. وان مثل هذا التطور يعتمد بالدرجة الأولى على الممارسـة والخبرة التي تحتاج لعامل الزن في سـيرها نحو الابداع والاجمل.

وعند استعراضنا لنماذج رسوم الكهوف نرى انها كانت تنفذ بأسلوب بسيط في البداية ثم تطورت هذه الرسـوم نحو الأفضـل وبلغت قمة رقيها في أواخر العصـر الحجري القديم, فقد كان الرسـام في أقدم رسـومه يركز على اظهار الهيكل العام للأشـكال, أي تخطيط الخطوط الخارجية التي تشـكل الشـكل بلون غامق كاللون الأسـود, وترك الكتلة بدون تلوين. وبعد فترة من الزمن اكتســـب الفنان القديم خبرة لا بأس بها بالتخطيط, انتقل الى مرحلة أخرى حيث اخذ يملئ المســـاحات الداخلية للأشـــكال بالألوان المرغوب بها مع الإبقاء على تمييز خطوط الاشـــكال الرئيسية الخارجية وذلك بتكثيف الصبغة عليها وتخفيفها تدريجياً باتجاه الداخل. ثم تطور أسلوب الرســم حتى وصــل الى ابداع نتائجه في قوة التخطيط, ومهارة توزيع اللون في اواخر هذه الفترة, وبشكل عام كان أسلوب تلوين الرسوم يعتمد على أسلوب بدائي وبسيط في الرسم. فكانت الكتل المرسـومة كأجزاء الحيوانات تملأ باللون بجميع مسـاحتها دون ان يكون هناك تدرج باللون يشـير الى حيز الكتلة او يبرز تجسيمها.

وفي النحت البارز كانت الخطوط الخارجية للأشكال تؤشـر اولاً على الجدار الحجري او على قطع العظام باسـتخدام قطعة حجرية مدببة النهاية, ومن ثم تحضـر هذه الخطوط حفراً غير عميق في معظم الأحيان. ويظهر من دراستنا لنماذج النحت البارز من هذه الفترة. ان النحات قد بذل جهوداً كبيرة, تعبر عن صـبر طويل, وحب لصـنعة, ودقة ومهارة متناهية في أسـلوب تأشـير الاشـكال وأسـلوب نحتها, فكان النحات لا يكتفي في كثير من الأحيان بتحديد الاشـكال بل كان يسـمى الى اظهار تفاصـيلها الدقيقة ايضـاً. وذلك بتأشـير شـعر الحيوان على الرقبة بعدد من الخطوط المائلة بأســـلوب الحز (الحفر). لقد بقي أســـلوب النحت البارز يعتمد على هذه الطريقة في تنفيذ الاعمال فترة طويلة. وبعد ان امتلك النحـات الخبرة والمهارة الكافية عمد الى

حفر الارضيات الزائدة (خارج الاشكال) فبدت مشاهد الاشكال بارزة عن ارضيتها. ان الاعمال المنفذة بأسلوب النحت البارز العالي هذا كانت قليلة قياساً بالنماذج المنفذة بأسلوب الحفر (الحز).

وبشكل عام تمكن فنان النحت البارز على لرغم من قساوة وصلابة المواد التي ينفذ عليها اعماله. وبساطة الآلات والأدوات المستخدمة في التنفيذ من انتاج اعمال لها نفس الروعة الفنية التي شاهدناها في اعمال زميله الرسام. فقد نقل اشكال الحيوانات من الطبيعة بواقعية كبيرة. تعبر عن حس مرهف وعين ثاقبة في النقل. وانمل ماهرة في الحفر والتنفيذ, فبدت اشكال الحيوانات نسخة ثانية لأشكالها الطبيعية ليس في الشكل العام وحسب بل وفي الحركات والانفعالات ايضاً. كما تظهر ذلك نماذج النحت البارز التي عثر عليها في الملاجئ الصخرية وفي أماكن متفرقة حول العالم وعلى الأخص في فرنسا واسبانيا.